" الخـــاتمـــة "

من خلال العرض السابق يتبين لنا أهم مناطق الثغور الإسلامية وإقليم العواصم وأهم مدنه على أطراف الدولة البيزنطية إبان عهد الدولة العباسية فى الفترة ما بين ٧٥٠ - ٩٤٥م /١٣٢-٣٣٤هـ واتضح لنا جليا أن الحياة فى إقليم الثغور والعواصم كانت تعم بالنشاط فى جميع النواحى ولا سيما الناحية السياسية وكذا الحضارية.

ولم يكن اختيار موقع إقليم العواصم عشوائياً كما أوضحت لنا الدراسة، ولكن جاء اختيار هذا الموقع نتيجة حصاد كثير من العوامل التى حكمت هذا الاختيار ، ولاسيما العامل الاقتصادى لما له من أهمية، فهو دائما عصب الحياة فى كل مكان وهو مقياس قوة الأمم وضعفها، كما أنه أهم الدعائم والأسس التى يتطلبها السكان الذين سوف يستقرون فى تلك المناطق ويرابطون على حدودها.

وعلى الرغم من توافر النشاط الاقتصادى بأنواعه المختلفة إلا ان الدخل العائد منه لا يكفى لسد الاحتياجات اللازمة للاستعدادات الحربية الدائمة لمواجهة الخطر البيزنطى من بناء حصون وشحنها بالجند والسلاح والفرق الاستطلاعية والجواسيس وأعمال المراقبة والحراسة والبريد، وظهر وهذا الأمر بصورة واضحة فى العصر العباسى الثانى.

لقد شهدت هذه المنطقة العسكرية كثيرا من اللقاءات الحربية بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية التى أوضحت لنا عظمة بعض قادة هذه المنطقة فى عهد خلفاء الدولة العباسية سواء فى العصر العباسى الأول أو عصر نفوذ الأتراك.

وإذا ألقينا الضوء على دور إقليم الثغور والعواصم فى العلاقة بين العباسيين والبيزنطيين فىالعصر العباسى الأول، نجد أنه قد توافرت المقومات العسكرية والاقتصادية بل والثقافية أيضا فى تلك المنطقة وكان لها تأثيرها على كل من طرفى النزاع.

أما بالنسبة للجانب العسكرى، فنجد أن ظاهرة العنف اتضحت فى إغارات كل منهما، وكانت الخسائر بالنسبة للدولة العباسية كثيرة وتمثلت فى الدمار الذى لحق بأنقرة وعمورية فى عهد الخليفة المعتصم.

ولقد برعت الدولة البيزنطية فى اتباع أسلوب الدبلوماسية فى التعامل مع العباسيين عند إصابتها بالفشل والإحباط فى مواجهتهم، لذا لجأت إلى اتباع أسلوب المسالمة، ومن الملاحظ أنه لم يكن هناك مكاسب تذكر لأى من الطرفين العباسى والبيزنطى فى منطقة الحدود الإسلامية، فلم تستفد الخلافة العباسية من الحملات التى قادها خلفاء العصر العباسى الأول مثل الرشيد، المأمون، المعتصم، لأن تلك الحملات لم تسع لضم أراضى بيزنطة فى تلك المنطقة ولكن أراد كل منهما أن يظهر مدى قوته للطرف الأخر، بالإضافة إلى الحفاظ على مناطق الحدود بالنسبة لهم، وبالتالى فلم تكن هناك ثمرة لأى لقاء حربى بينهما.

وعلى الرغم من وجود هذه اللقاءات الحربية إلا أن هذه العلاقة تتخللها فترات سلم وهدوء وتبادل الرسائل والسفارات للأتفاق على تبادل الأسرى بينهما.

ولقد وجدنا أن ميزان القوى استمر لصالح العباسيين منذ بداية العصر العباسى الأول حتى عام ٨٦٣م/ ٢٤٩هـ وذلك لما عانت بيزنطة من مشاكل داخلية مثل الحركة اللاأيقونية وصراعها مع أعدائها فى الخارج، مما أدى إلى فشلها فى الحفاظ على مكانتها فى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الميلادى وكان السبب فى القوة العباسية فى هذه الفترة على الرغم من ضعف بعض حلفائها يرجع إلى ولاة الثغور والعواصم، تلك المنطقة العسكرية والقوة الضاربة المستعدة لمقاومة أى خطر يهدد كيان الدولة حيث حرص ولاة هذه المنطقة على الاهتمام العسكرى مثل بناء الأسوار والتحصينات وتنظيم القوات وإمدادها بكل المستلزمات الحربية لتكون على أتم الإستعداد لمواجهة الخطر البيزنطى أو أى خطر يهدد الحدود الإسلامية. لذا فإن تلك المنطقة كانت تموج بحركة حربية دائمة.

وقد تغير الوضع فى العصر العباسى الثانى "عصر أزدياد نفوذ الأتراك" حيث نجد أن ميزان القوى يميل لصالح بيزنطة فى القرن العاشر الميلادى/ الرابع الهجرى بعد موقعة "مرج الأسقف" وتحولت القوة البيزنطية من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم ونجحت فى اختراق الحدود الإسلامية العربية نتيجة لما أصاب الدولة العباسية فى عصرها الثانى من الضعف والاضمحلال، إلى جانب الموقف السلبى للخلافة بعد هزيمة ٨٦٣م/٢٤٩هـ.

ورغم ذلك فإن هذه الفترة قد شهدت قيام علاقات سلمية وعلاقات تجارية - كما أسلفنا وذكرنا فى عهد المستعين - ووسائل السلام بين العباسيين والبيزنطيين، وبذلك نرى أن ميزان القوى بين الطرفين لم يستقر على حالة واحد أى لم يكن ثابتا لأى منها فتارة يرجح على جانب وتارة يتحول إلى صالح الجانب الآخر وأحيانا يتعادل بينهما وذلك وفقا لمتقضيات الظروف بينهما.

ويتضح لنا من خلال البحث أن ولاة الثغور والعواصم لم يطمعوا فى تحقيق مكاسب حربية بقدر ما سعوا إلى تحقيق اهدافهم داخل الأراضى البيزنطيه والعودة بأقل خسائر، لهذا فإن منطقة العواصم، كما ذكرنا فى بداية البحث هى جبهة للجهاد المستمر ضد البيزنطيين وليس للهجوم عليهم، ومن هنا فإنه رغم أن هذه المنطقة قد شهدت الكثير من اللقاءات الحربية إلا أن الحدود بينهما لم تتعرض لتغير ملحوظ.

كذلك أظهرت الدراسة مدى تأثر سكان إقليم الثغور والعواصم بالحرب وقوة الإغارات وحالة القلق المستمر التى عاشوها خاصة فى العصر العباسى الثانى عند ما أتجه أهل حصن لؤلؤة التابع للبيزنطيين إلى تسليم بطريرك بيزنطة إلى المسلمين وعادوا إلى دينهم طلبا للأمن والحماية الإسلامية وكان ذلك فى عهد الخليفة المتوكل.

ولعل من أبرز النتائج فى هذه الدراسة قوة المشاكل الداخلية التى عان منها كل من الطرفين ونفوذ الأتراك المسيطر على شأن الخلافة يولون ويعزلون كيفما يريدون، بل وصل الأمر فى بعض الأحيان إلى القتل، ورغم هذه المشاكل إلا أن الخلافة العباسية لم تتقاعس عن

الرد على غارات بيزنطة بإغارات إسلامية عباسية أقوى فى منطقة الحدود وقد عانت الدولة البيزنطية أيضاً من وجود صراع بين رجال البلاط البيزنطى للوصول للسلطة.

ويبدوا أن الإمبراطورية البيزنطية قد شهدت فترة أزدهار بعد أنتهاء عهد الأسرة العمورية وهذا عكس ما كان عليه الوضع فى الدولة العباسية التى فشلت فى أن تتخلص من مشاكلها واستمرت فى طريق الضعف والزوال وأستمر الأتراك فى سيطرتهم وتحكمهم منذ النصف الثانى للقرن التاسع الميلادى / الثالث الهجرى.

ونستخلص أيضا من هذه الدراسة أن إقليم العواصم اختلف فى تكوينه وخصائصه عن بقية كل من الدوليتن الإسلامية والبيزنطية.

وعلى الرغم من ذلك فإن الباحث لم يستطع أن يصل إلى طبيعة الحياة بأكملها فى تلك المناطق لأن المصادر لم تمدنا إلا بالقليل عن هذه الناحية.